NMA
for
Contemporary
Research

الحرب الأوكرانية وانعكاساتها

على القضية السورية

نيسان – أبريل / 2022

«مركز نما للأبحاث المعاصرة»

مؤسسة بحثية مستقلة غير ربحية تُعنى بتقديم الدراسات والأبحاث السياسية والاقتصادية والاجتماعية حول القضية السورية، لإسناد صناع القرار والمجتمع بالمعلومات والتحليلات العلمية المساهمة في اتخاذ القرارات العقلانية، وزيادة الوعي وتحقيق التنمية السياسية للوصول إلى تمكين المجتمع.

تأسس المركز في أيلول 2019 في الشمال السورية كمؤسسة ريادة في تقديم الدراسات والأبحاث المعمقة لصناعة سياسات أكثر فاعلية من خلال استجلاب المعلومة الصحيحة وإخضاعها لعملية تحليلية علمية للوصول إلى النتائج المنطقية التي يمكن الاستناد إليها في عملية صناعة القرار الرشيد.

تاريخ النشر: أبريل– نيسان/2022

الموقع الإلكتروني
nmaresearch.com

البريد الإلكتروني
info@nmaresearch.com

جميع الحقوق محفوظة © مركز نما للأبحاث المعاصرة

المحتويات

المقدمة 3

السياسة الخارجية بين التخطيط وردود الأفعال 4

ما الذي تريده روسيا؟ 5

قيادة طموحة وغرب متراجع 7

بوتين ومعضلة الجبان 9

الأوكرانيون هم من صنع الحدث 10

سيناريوهات نهاية الحرب 12

وماذا عن القضية السورية؟ 18

نتائج وتوصيات 20

المقدمة

في الرابع والعشرين من شهر شباط 2022 م أمر الرئيس الروسي «فلاديمير بوتين» بغزو أوكرانيا من قبل القوات المسلحة الروسية جوا وبرا وبحرا، وأوكرانيا البلد الديمقراطي الأوروبي الذي يبلغ عدد سكانه 44 مليون نسمة هي إحدى دول الاتحاد السوفييتي السابق، والتي حصلت على استقلالها وانفصلت عنه عام 1991م. وحتى العام 2014 حافظت الدولتان على علاقات وثيقة فيما بينهما وكانت روسيا تعتبرها جزء من مجال تأثيرها وتنتهج نسخة حديثة من سياسة بريجنيف، التي تنص على أن تكون لأوكرانيا «سيادة محدودة»، كما حصل مع وارسو عندما كانت ضمن مجال التأثير السوفييتي. لكن الثورة الأوكرانية في 2014 التي أطاحت بالرئيس فيكتور يانوكوفيتش وحكومته جعلت العلاقات تسير باتجاه آخر، تظاهر محتجون معظمهم ينتمي للقومية الروسية اعتراضًا على الأحداث الجارية في كييف وطلبًا للمزيد من التكامل مع روسيا، بالإضافة إلى حكم ذاتي موسع أو استقلال للقرم عن أوكرانيا. على الجانب الآخر تظاهرت جماعات إثنية أخرى لتأييد الثورة. على إثر ذلك، احتلت روسيا شبه جزيرة القرم وأعلنت ضمها لروسيا وأصبحت العلاقة متوترة بين البلدين إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه الآن. ومنذ اللحظات الأولى لإعلان الحرب بدأ السوريون بربط ما يحدث في أوكرانيا بقضيتهم المستعصية عن الحل، وامتزجت التحليلات بالرغبات والأماني معبرة عن تفاؤل ارتفعت وتيرته مع ما تناقلته وسائل الإعلام من أخبار تفيد بتعثر الحملة العسكرية الروسية، وقد تجلى ذلك بكل وضوح من خلال الاحتفالات التي أقامها السوريون في الذكرى الحادية عشر لانطلاق ثورتهم.

السياسة الخارجية بين التخطيط وردود الأفعال

ينقسم دارسو ومنظرو السياسة الخارجية حول الطابع الهدفي للسياسة الخارجية، فهناك اتجاه يرى أن السياسة الخارجية ليست أكثر من عملية قوامها رد فعل لبواعث معينة في البيئة الخارجية والداخلية، أما الاتجاه الثاني؛ فأصحابه يعتقدون أن السياسة الخارجية عملية تكيفية قوامها تحديد أهداف معينة للدولة لإحداث تغيرات في البيئة الخارجية من شأنها أن تعود على الوحدة الدولية بمنافع معينة[٦].

في الواقع، يصعب على الباحث الادعاء إن السياسة الخارجية للدول تدار وفق مخططات محكمة. بل على العكس من ذلك، يمكن العثور على الكثير من الأدلة والشواهد التي تثبت وجهة النظر القائلة: ليست السياسة الخارجية سوى ردود أفعال على ما تفرزه البيئتان الداخلية والخارجية، فعلى سبيل المثال: كانت الحملة الانتخابية للرئيس الأمريكي «جورج بوش الابن» تركز على الاهتمام بالداخل الأمريكي؛ لتأتي أحداث الحادي عشر من أيلول وتقلب توجهاته رأسا على عقب، ويتحول البرنامج السياسي لهذا الرئيس إلى الحروب والمغامرات الخارجية. رغم ذلك، لا يمكن إنكار وجود التخطيط في السياسة الخارجية، فإدارة «بوش» التي خاضت حربي أفغانستان والعراق كرد فعل على أحداث الحادي عشر من أيلول خاضت حربيها وفق خطط محكمة حسب اعتقادها، لكن الذي حصل أن هاتين الحربين كانتا من أفشل المغامرات الأمريكية. لذلك، فالتخطيط بدوره معرض للفشل، فربما تبدأ دولة ما بمخطط ما، ومع الوقت لا يتبقى من الخطة سوى اسمها، إذ تسوق الأحداث والمستجدات الخطة باتجاهات لم تكن في الحسبان، ولعل أجمل تعبير عن الخطة والتخطيط: «ليست الخطة أكثر من حلم يراود أصحابها». وفي هذا السياق يمكن للمرء أن يتساءل: هل كان الاتحاد السوفييتي يخطط لانهياره عندما غزا أفغانستان؟ وهل كان هتلر يخطط لهذه النهاية المأساوية عندما اتخذ قراره بشن الحرب العالمية الثانية؟ بالطبع هذه التساؤلات قد تجد إجابة لدى بعض معتنقي نظرية المؤامرة بالقول إن تورط روسيا في حرب أفغانستان كان مخططا أمريكيا، وتورط هتلر في الحرب العالمية الثانية هو نتيجة لتخطيط أشرار العالم

(٦) - محمد السيد سليم، المرجع السابق، ص 23.

في ذلك الوقت، لكن الإجابة تصبح أكثر صعوبة عند التساؤل: هل كانت الإدارة الأمريكية تخطط لأن تجلب العار للولايات المتحدة عندما غزت فيتنام؟ وهل كانت إدارة «بوش» تتوقع هذه النتائج عندما غزت أفغانستان والعراق؟

ما الذي تريده روسيا؟

تعتبر نظرية المكانة الدولية خير معبر عما تريده روسيا. تدور المقولة الأساسية لنظرية المكانة حول مفهوم رئيس، وهو أن مكانة الدولة في بنيان النسق الدولي يحدد إلى حد بعيد سلوكها إزاء الدول الأخرى، فالنسق الدولي يتسم بالترتيب التدريجي للوحدات الأساسية، ويتحدد ترتيب كل دولة في هذا النسق طبقا لمجموعة من المؤشرات التي بمقتضاها تنقسم الدول إلى وحدات عليا ووحدات دنيا، فإذا تصورنا أن المؤشرات التي تحدد مكانة الدولة في النسق هي: القوة العسكرية، ومستوى التصنيع، والمستوى التعليمي، ومستوى الدخل الفردي، والأصالة الحضارية، فإنه من المتصور أن تتمتع وحدة معينة بمكانة عالية بالنسبة للمؤشرات الخمسة، وأن تتمتع وحدة أخرى بمكانة دنيا بالنسبة لتلك المؤشرات. هذه الوحدات تتسم بتوازن المكانة؛ بمعنى أن مكانتها بالنسبة لكل مؤشرات المكانة الدولية متوازنة. بيد أن بعض الوحدات قد تتمتع بمكانة عليا بالنسبة لبعض المؤشرات ومكانة دنيا بالنسبة للمؤشرات الأخرى[1]. وهذا ما ينطبق على روسيا بالتحديد، فعلى سبيل المثال تتمتع روسيا بمكانة عالية من خلال مؤشري القوة العسكرية والأصالة الحضارية، أما باقي المؤشرات فهي متواضعة إذا ما قيست بغيرها لدى الدول المتقدمة.

تتوقع نظرية المكانة أن الدول غير المتوازنة ستحاول تحقيق التوازن في مكانتها الدولية، فإذا فشلت في تحقيقه بالطرق الشرعية، فإنها قد تلجأ الى السلوك الصراعي وبالذات إزاء الدول ذات المكانة العليا المتوازنة. بعبارة أخرى فإن السياسة الخارجية للدول غير المتوازنة في المكانة تتسم بمحاولة نشيطة لتغيير الوضع الراهن[2].

بدأت روسيا معركة تحقيق المكانة منذ مجيء الرئيس «فلاديمير بوتين" إلى السلطة، حيث استلم السلطة عقب حرب كوسوفو وهو يدرك تماما

(1) - محمد السيد سليم، تحليل السياسة الخارجية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1998، ص315.

(2) - محمد السيد سليم، المرجع السابق، ص315.

ضعف الموقف الروسي في الرد على الحرب على «يوغسلافيا» سيحدد إلى حد كبير مستقبل الدور الروسي في السياسة الدولية، وسيكون عنوان المرحلة القادمة وفق المعادلة التالية: إذا كان موقف الرئيس «بوريس يلتسين" في "كوسوفو" يشكل عنوانا لتعامل الغرب معه، فإن موقف "بوتين" في الشيشان يشكل عنوانا لتعامله هو مع الغرب. الحالة الأولى اضطر "يلتسين" للإذعان لإرادة حلف شمالي الأطلسي أما في الحالة الثانية فاضطر حلف شمال الأطلسي للإذعان لإرادة "بوتين". وهكذا بدأت ما تسمى بسلسلة حروب بوتين الكبرى التي بدأت في داغستان والشيشان ووصلت الآن إلى أوكرانيا. يضاف إلى ذلك تدخله العسكري في سوريا منذ العام 2015، والذي يعتبر التدخل الوحيد خارج المحيط الحيوي لروسيا.

إذن، تسعى روسيا الاتحادية لأن تتحول بناء عالم متعدد الأقطاب في إطار بناء قوتها الذاتية وإعادة بناء محيطها الإقليمي، والتحول إلى دولة ذات نفوذ على الساحة السياسية الدولية دون أن تدخل في مواجهة مباشرة مع الولايات المتحدة الأمريكية. ولم تكن التوجهات الروسية الجديدة خافية على أحد فقد عبر عنها «بوتين» بشكل واضح في مؤتمر «ميونيخ» 2009 عندما قال: من الضروري البحث عن توازن معقول بين مصالح كل أعضاء المجتمع الدولي لا سيما عندما تشهد الساحة الدولية المتغيرات السريعة بشكل كبير[1].

(1) - دراسات المناطق (2)، مقرر في جامعة شام، ص56.

قيادة طموحة وغرب متراجع

استطاع «بوتين» خلال الفترة الأولى من حكمه بناء نظام سلطوي قوي قادر على ضبط الحياة السياسية والاقتصادية. ومن ثم التفت إلى بناء وتأسيس جيش قوي وقدرات عسكرية دفاعية وهجومية استراتيجية. بعد ذلك، بدأت تحركات القيادة الروسية تتجه نحو تأكيد المكانة العالمية لروسيا الاتحادية، أو ما يطلق عليه: «عقيدة فرض التوازن الإستراتيجي»[1]. وبينما كانت روسيا تبني قدراتها، كانت الولايات المتحدة منشغلة بإدارة حروبها الممتدة في كل من أفغانستان والعراق. والأدق من ذلك، بينما كانت الولايات المتحدة منشغلة في حروبها الممتدة كانت الصين تحقق صعودا صاروخيا كما أسماه البعض، وكانت روسيا تستعيد بناء ذاتها، وزيادة على ذلك، جاءت الأزمة الاقتصادية التي عصفت بالاقتصاد الامريكي عام 2008.

مع نهاية سنة 2007، صار هناك حديث متداول حول مسألة الانحدار الأمريكي، وشكوك بخصوص التخمينات طويلة المدى لبقاء الدولار باعتباره عملة الاحتياط الأساسية في النظام الدولي. جرى أيضا حديث خافت بخصوص النظام متعدد الأقطاب في مراحله الأولى، وكلها مواضيع بدأت تأخذ مكانها في نقاشات السياسة الخارجية الأمريكية بين الرسميين والأكاديميين على حد سواء»[2]. وفي كتابة «رؤية استراتيجية. أمريكا وأزمة السلطة العالمية»؛ ناقش الأمريكي الشهير «زبيغنيو بريجنسكي» التحديات التي تواجه المكانة الأمريكية في النظام الدولي ومستقبل النظام الدولي في ضوء مؤشرات تراجع الدور الامريكي وانتقال القوة العالمية من الغرب إلى الشرق، حيث أن عدم استغلال الولايات المتحدة الأمريكية الفرصة السانحة التي وفرتها النهاية السلمية للحرب الباردة بعد زوال الخطر السوفييتي وانفراد القطب الأمريكي بالعالم والذي لم يدوم طويلاً بفعل إدارة الرئيس جورج بوش الابن، وتأثير الأزمة الاقتصادية التي تمر بها الولايات المتحدة وأوروبا مقابل بروز دور القوى الاقتصادية الصاعدة

(1) - المرجع السابق، ص 57 و58.

(2) - جلال خشيب، التوجه شرقا؟ أثر الصعود الأوراسي الجديد على التوجهات الكبرى للاستراتيجية التركية، ورقة بحثية صادرة عن مركز إدراك للدراسات والاستشارات.

كل ذلك أدى إلى ظهور المخاوف على مستقبل القوة الامريكية[1]. أما المؤرخ البريطاني «نيل فرغيسون» فيتحدث في الصفحات الأخيرة من كتابه «الحضارة: الغرب والبقية» عما اصطلح على تسميته «بانتقال القوة نحو الشرق» في إشارة إلى ذلك التحول السريع والضخم الذي يشهده النظام الدولي في القرن الحادي والعشرين فيما يخص توزيع مقدرات القوة فيه[2].

وفي نفس السياق يقول فريد زكريا مركزا حديثة على الجانب الاقتصادي: «ما يميز أزمة 2008 بالتحديد هو أنها لم تنشأ في بقعة متخلّفة من العالم النامي، بل نشأت في قلب الرأسمالية العالمية _ الولايات المتحدة الأمريكية _ وشقت طريقها عبر شرايين نظام المال الدولي. مع أنها لا تنذر بنهاية الرأسمالية _ بالرغم من آراء بعض الخبراء _ إلا أنها قد تعني إلى حد كبير نهاية نوع محدد من الهيمنة العالمية بالنسبة للولايات المتحدة[3].

لم يكن هؤلاء وحدهم من تحدث عن تراجع الغرب وصعود الشرق، لكن معظم هؤلاء اعتبروا أن الولايات المتحدة خصوصا والغرب عموما مازال يحتفظ بتفوقه النسبي مع اعترافهم بأن التفرد الغربي في قيادة العالم أصبح موضع شك.

(1) - زبيغنيو بريجنسكي، رؤية استراتيجية: أمريكا وأزمة السلطة العالمية، ترجمة: فاضل جنكر، دار الكتاب العربي، بيروت، 2012، ص 58.

(2) - جلال خشيب، الغرب والبقية، لماذا هيمن الغرب على العالم إلى الآن، إيان موريس في مواجهة نيل فرغيسون، مركز إدراك للدراسات والاستشارات، أغسطس، ص 47، 48.

(3) - فريد زكريا، عالم ما بعد أمريكا، ترجمة: بسام شيحا، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، 2009، ط1، ص 15.

بوتين ومعضلة الجبان

بغض النظر عن وجهات نظر المنظرين السياسيين فملامح ضعف الغرب أصبحت واضحة لكل من يرغب أن يرى، فالغرب في النهاية هو الولايات المتحدة، وهي أثبتت في أكثر من مناسبة أنها مرتبكة، وأن حربي العراق وأفغانستان قد خلقتا مزاجا عاما داخل الولايات المتحدة معاديا للمغامرات العسكرية، وقد تجلى هذا التوجه في السياسة الأمريكية بشكل فاضح، فعلى سبيل المثال؛ رغم أن الرئيس ترامب صاحب مواقف واضحة بانتقاد مغامرات أسلافه، إلا أن الكونجرس اجتمع للحد من سلطات الرئيس باتخاذ قرار الحرب عندما قامت الولايات المتحدة بتصفية قاسم سليماني.

في أدبيات العلاقات الدولية؛ هناك ما يعرف بنظرية الألعاب، وهي إحدى الوسائل الحديثة لبحوث العمليات التي تستخدم لاتخاذ القرارات في الحالات والمواقف التي تتميز بوجود صراع بين الوحدات المتنافسة بحيث يسعى كل طرف لتحقيق مصلحته على حساب الآخر. من بين هذه الألعاب ما يسمونه «لعبة الدجاجة»، أو «معضلة الجبان»، وهذه المباراة أخذت اسمها من اللعبة الرياضية التي نشأت بين مراهقي كاليفورنيا 1950م حيث كان هناك سائقان يصلان إلى بعضهما بسرعة عالية من خلال طريق ضيق كلاهما يملك الاختيار أما أن ينحرف ويتجنب الضربة في الرأس أو الاستمرار في طريق التصادم لتلقي الضربة. أي، إما أن يمتلك الطرفان ما يكفي من الجسارة وتفضيلهما التصادم الذي سوف يؤدي للموت أو لكثير من الأذية، وإما أن يختار أحدهما الانحراف فيسمى «الدجاجة» أو »الجبان. يعتمد بوتين في سلوكه اليوم على هذه اللعبة، فهو انطلق في مشروعه، وعلى الآخرين الاختيار بين المواجهة والابتعاد عن طريقه.

يعلم بوتين جيدا أن الغرب يمر بمرحلة ضعف وأنه لا يوجد هناك من سوف يختار الصدام معه، وهو يعلم أيضا أن الآخرين لن يصفقوا له كبطل فائز، ولن يقبل أحدهم أن يُنعت بالجبان -باستثناء الرئيس الأوكراني الذي سيقبل مرغما -لذلك، فهو يتوقع بعض ردود الأفعال التي ستكون محصورة ببعض العقوبات الاقتصادية والسياسية، لكنه يرى أن إمكانيات هؤلاء في رد اعتبارهم عن طريق العقوبات الاقتصادية هي الأخرى محدودة، فروسيا اليوم جزء من الاقتصاد العالمي. أي، لا يمكن تشديد العقوبات عليها من

غير أن يتأذى أصحاب العقوبات ذاتهم. كما أن الاقتصاد العالمي مازال يبحث عن التعافي من الأزمة الاقتصادية التي تسببت بها جائحة كورونا، وسيجد الغرب نفسه عندما يقر بعض العقوبات الاقتصادية أنه سيعمل باتجاه تعميق الأزمة الاقتصادية، بينما هو مطالب بالتغلب عليها. من جهة أخرى، يعلم بوتين كما يعلم الجميع؛ أن حساسية الأنظمة الديمقراطية تجاه الأزمات الاقتصادية أعلى بكثير مما هو لدى الأنظمة الديكتاتورية ذات القدرة المرتفعة على التحمل على اعتبار أنها لا تقيم للشعوب وزنا.

الأوكرانيون هم من صنع الحدث

تصلح الحرب الأوكرانية لأن تكون مثالا مميزا لجدلية التخطيط ورد الفعل في السياسة الخارجية، فحول السبب الرئيسي للحرب يمكن القول إنه كان رد فعل روسي تجاه الخط السياسي الذي انتهجه الرئيس الأوكراني، ونزولا عند رغبة الذين يعتقدون أن كل ما يحصل مخطط له منذ فجر التاريخ يمكننا أن نقبل بمقولة إنه مخطط روسي قديم، أو هو مجرد استدراج أمريكي. أي، هو مخطط أمريكي. لكن هذا القبول يبقى بحاجة لبعض الإيضاحات، فالرئيس الروسي عندما أعلن الحرب - من فرط الثقة - كان يبدو وكأنه يعلن عن بداية نزهة.

حسب الكرملين حساباته بدقة وهو يطلق عمليته العسكرية، كما قال "بوتين"، واستعد لكل الاحتمالات، ويدرك الرئيس الروسي أن الغرب لن يتدخل عسكرياً، وكل ما يستطيع فعله يتركز في فرض رزم حازمة من العقوبات التي لن تؤثر كثيراً على روسيا بسبب توافر قناعة بأن «الاقتصاد الروسي سوف يهتز؛ لكنه لن يتعرض لانهيار»، فضلاً عن رهان موسكو على أن «موجة الغضب الحالية» سوف تتراجع شيئاً فشيئاً بعد مرور بعض الوقت، وسوف يتعرض المعسكر الغربي مجدداً لهزات داخلية بين أطراف تطالب بمواصلة التعامل بحزم، وأخرى مستعدة لفتح قنوات اتصال مع موسكو. هذا الكلام قاله حرفياً نائب رئيس مجلس الأمن القومي "ديمتري ميدفيديف" وهو يعكس القناعة الروسية بهذا الشأن[٦].

(٦) - الشرق الأوسط، الحرب على أوكرانيا... ماذا يريد الرئيس الروسي؟

https://bit.ly/3KTPeiJ تم الدخول 2022/3/5.

الدول الغربية من جهتها كانت تشاطر القيادة الروسية توقعاتها بكون الغزوة ستكون نزهة، وهي كانت تحضر نفسها لاتخاذ بعض الإجراءات كالعقوبات الاقتصادية والسياسية، والعجز الغربي الذي كان واضحا مع بداية الحرب مازالت ملامحه مستمرة حتى اليوم من خلال تحاشي الصدام مع روسيا. والدليل على أن الدول الغربية كانت تعتقد أن غزو الجيش الروسي لأوكرانيا سوف يكون نزهة عسكرية؛ أن هذه الدول عرضت اللجوء على الرئيس الأوكراني. كذلك، يوم 24 فبراير/ شباط، أي تاريخ بدء الغزو الروسي لأوكرانيا، نقلت مجلة «نيوزويك» الأميركية عن مسؤولين أميركيين توقعهم سقوط كييف في غضون 96 ساعة، على أن يتم تحييد المقاومة الأوكرانية بعد ذلك بوقت قصير[1]. وكان البيت الأبيض قد واجه عاصفة من الانتقادات من قبل الجمهوريين لعدم تسليم أسلحة أو معلومات استخبارية إلى الأوكرانيين قبل انطلاق الغزو. وتحدث السيناتور الجمهوري «طوم كوتون» عما اعتبرها أخطاء كانت لها آثار سياسية في العالم حول استعداد الرئيس (جو بايدن) أو غيره من قادة حلف شمال الأطلسي لتوفير أسلحة، اعتقدوا أنها ربما قد تقع في أيدي الروس في غضون ساعات»[2].

إن الذي صنع الحدث وجعل المخططات القديمة، من الخطط العسكرية

(1) - العربي الجديد، فشل التقديرات الاستخبارية الأميركية: أوكرانيا بعد أفغانستان.

https://bit.ly/3AX5bP تم الدخول 2022/3/10.

(2) - المرجع السابق.

للغزو إلى الخطط الغربية للعقاب؛ تذهب أدراج الرياح هو صمود الشعب الأوكراني المتمثل بجيشه، ورئيسه العنيد «فولوديمير زيلينسكي» الذي رفض فكرة مغادرة البلاد وظهر منذ اليوم الأول للحرب ليقول: أنا هنا صامد. وبغض النظر عن مدى صوابية قرارات هذا الرئيس، لا يمكن لعاقل أن ينكر أن الأوكرانيين فاجؤوا الجميع بتصميمهم على الصمود؛ فتحمس الجميع وتدفقت الأسلحة وارتفع زخم التنديد وتسارعت العقوبات والضغوط، واختلفت الخطط، وبدأ الجميع يتفنن في إرباك روسيا، وأصبح الغرب يسعى بكل وضوح لجعل أوكرانيا مستنقعا يغرق الروس في أوحاله. وهذا ما جعل مقولة إن الأمريكان استدرجوا الروس لمستنقع أوكرانيا تبدو وكأنها حقيقة رغم أنها مقولة مستبعدة؛ إذ تفترض هذه المقولة أن القيادة الروسية على درجة عالية من السذاجة، إذ غابت عنهم فكرة كان معظم سكان الشرق الأوسط قد اكتشفوها سلفا.

بالمختصر، كان بالإمكان أن تجتاح روسيا أوكرانيا وتحقق مرادها بسهولة، لكن الموقف الأوكراني هو الذي جعل هذه الحرب مفتوحة على كافة الاحتمالات، بل أصبحت تبدو كمرحلة كسر عظم، أو بداية لحرب عالمية ثالثة.

سيناريوهات نهاية الحرب

يحاول معظم المحللين والمراقبين السوريين البناء على ما يجري في أوكرانيا لاجتراح تصورات لما يمكن أن ينعكس سلبا أو إيجابا على القضية السورية، وتختلف وجهات النظر حسب السيناريو المتوقع لنهاية هذه الحرب التي تخوضها روسيا، فنظريا؛ هزيمة روسيا في هذه الحرب ستؤدي إلى ضعفها في الساحة السورية، بينما نصرها قد يؤدي لتعزيز موقفها. رغم أن سيناريوهات نهاية الحرب الأوكرانية أكثر من أن تحصى، إلا أن وجهات النظر حتى الآن تعتمد التقسيم الثنائي: نصر/هزيمة، وفيما يلي استعراض لوجهات نظر ثلاثة من كبار المنظرين السياسيين الذين أدلوا بدلوهم في التنبؤ لنهايات هذه الحرب.

أولا: «فرنسيس فوكوياما»[1]

كتب «فوكوياما» في مجلة «أميركان بوربوز» أنّ انهيار مواقع الجيش الروسي قد يكون مفاجئاً وكارثياً عوضاً عن الانهيار البطيء من خلال حرب استنزاف. سيصل الجيش الروسي على أرض الميدان إلى نقطة لا يمكنه تلقي الإمدادات ولا الانسحاب، وستتبخر المعنويات. وهذا صحيح على الأقل في الشمال. أداء الروس أفضل في الجنوب، لكنه سيصعب الحفاظ على هذه المواقع إذا انهار الشمال. وتوقع الكاتب نفسه ألا يستطيع بوتين النجاة من هزيمة جيشه. هو يحظى بالدعم لأنه يُنظر إليه على أنه رجل قوي. ولهذا السبب، يتساءل عما سيتمكن بوتين من تقديمه إذا أظهر أنه غير كفوء ومجرد من قوته الإكراهية. ورأى فوكوياما أنّ الهزيمة الروسية ستجعل «ولادة جديدة للحرية» أمراً ممكناً كما ستنتشل الغربيين من حالة الحزن من تراجع الديموقراطية على المستوى العالمي. «ستستمر روحية 1989 بفضل مجموعة من الأوكرانيين الشجعان» كما كتب[2].

ثانيا: «جون ميرشايمر»[3]

في مقابلة تلفزيونية حول الحرب الأوكرانية قال «ميرشايمر»: نحن نتحدث عن موقف إذا تمت هزيمة روسيا؛ هذا الموقف كارثة بالنسبة لروسيا. لن يستسلم الروس، بل سيسحقون الأوكرانيين، سيستخدمون أفتك الأسلحة وسيغيرون على أماكن مثل كييف وغيرها من المدن في أوكرانيا ويحولونها إلى أنقاض. سيعيدون سيناريو الفلوجة وسيناريو الموصل وسيناريو غروزني. ستبذل روسيا كل ما بوسعها في أوكرانيا لتتأكد أنها ستحرز الفوز... أعتقد أنه إذا تمت المنافسة بيننا وبين الروس؛ سيفوز الروس.

فلنفكر من لديه عزيمة أكبر؟ من سيولي تلك القضية اهتماما أكبر روسيا أم أمريكا؟ بالنسبة لأمريكا فهي لا تولي اهتماما كثيرا لأوكرانيا،

(1) - يوشيهيرو فرانسيس فوكوياما هو عالم وفيلسوف واقتصادي سياسي، مؤلف، وأستاذ جامعي أميركي. اشتهر بكتابه نهاية التاريخ والإنسان الأخير الصادر عام 1992.

(2) - النهار، فوكوياما: روسيا تتجه نحو هزيمة كاملة.

D8%A7%D8%%D9%88%D9%84%D9%8A%D8%AF%-10/section/arabic/com.annahar.www//:https

130320220223536332/AA تم الدخول 2022/3/21.

(3) - جون ميرشايمر هو أستاذ العلوم السياسية في جامعة شيكاغو التي يدرس فيها منذ عام 1982.

لقد أوضح الأمريكيون أنهم ليسوا على استعداد للقتال والموت من أجل أوكرانيا. لذا، فالأمر ليس مهما بالنسبة لهم. أما بالنسبة للروس فموقفهم واضح: «هذا الأمر هو تهديد وجودي»، لذا أعتقد أن ميزان القوى يميل في صالحهم. لذلك، تخميني أن الروس سوف ينتصرون وليس الأمريكيون. سيتغلب الروس لأن ميزان القوى سيرجح كفتهم. واعتبر «ميرشايمر» أن الخاسر الوحيد هم الأوكرانيون.

كما تحدث ميرشايمر عن قضية وضع الروس أسلحتهم النووية في حالة تأهب قصوى، واعتبره رسالة واضحة تعبر عن مدى جدية تعاملهم مع الأزمة، وقال إن القوى العظمى عندما تشعر بتهديد وجودي فالتهديد بالأسلحة النووية يكون حقيقيا[1].

ثالثا: «ألكسندر دوغين»[2]

في حديث مطول مع قناة الجزيرة تحدث دوغين عن الحرب في أوكرانيا أهم ما جاء فيه:

في إجابته حول عزلة روسيا وتصويت 141 دولة صوتوا ضد روسيا فيما يخص العملية العسكرية؛ قال «دوغين»: أعتقد أن كل شيء سوف يتضح بعد انتصارنا، وعندما ننتصر فإن العالم سوف يكون مختلفا تماما، وهيمنة الغرب سوف تولي من دون رجعة، وسوف يكون هناك عددا من الأقطاب المستقلة لكي تحدد النظام العالمي وليس قطب غربي واحد. هذه الدول (المنددة) لا تفهم هدفنا، وربما سوف تصفق لنا لاحقا بعد انتصارنا.

وعن سؤاله إن كان يعتبر أن القتال الآن ضد الولايات المتحدة؛ أجاب «دوغين»: إنه القتال ضد الهيمنة الأمريكية، وبالتحديد، النخبة العالمية الليبرالية التي تحاول أن تسيطر على العالم. وقال في إجابته عن سؤال آخر: نحن لا نحاول

(1) - المعهد العراقي للحوار، جزء من مقابلة مع البروفيسور جون_ميرشايمر ، يتحدث فيها عن أزمة الولايات_المتحدة في قيادة العالم وفشلها في السيطرة على الأزمة الأوكرانية.

https://www.facebook.com/watch/bS0n4Vi01j/ تم الدخول 2022/3/21.

(2) ألكسندر دوغين هو محلل سياسي واستراتيجي وفيلسوف روسي، صاحب النظرية السياسية الرابعة والنظرية الأوراسية يؤمن بوجوب اتحاد وتحالف الشرق بقيادة روسيا والصين. ويعد دوغين أحد العقول الرئيسية في صياغة السياسات والإستراتيجيات الروسية، ويعتبره الرئيس بوتين أحد أهم المحللين الجيوسياسيين.

أن نعوض النموذج الآخر بنموذجنا، بل نبحث عن الحرية للجميع في تقرير النماذج الحضارية التي تخصهم.

الأهم في كلام «دوغين» كان في إجابته عن سؤال ماذا لو هزمت روسيا؟ حيث قال التالي: أعتقد أن الروس لا يفكرون في هذه المحصلة؛ لأن هذا محال، وإلا عندها، عندما تعصف بنا المخاطر لن يكون لدينا خيارات مختلفة. أما في الحالات الأخرى يمكن أن ننتصر ويمكن أن نهزم ويمكن أن نحصل على شيء ما ونخسر شيئا آخر، ولكن في الوضع الراهن، في هذا السيناريو الحالي العملية العسكرية الخاصة مرتبطة بوجودنا أو عدم وجودنا، أكون أو لا أكون، فالأمر غير مرتبط بتوسيع نفوذنا، أو ربما أن نتأكد من أمن حدودنا؛ هذه الأهداف هي فرعية ثانوية. كل الأمور على المحك الآن، ونحن لا نفكر باحتمالية الهزيمة؛ لأن هذا لا يمكن أن يحصل، وإذا ما حصل؛ فإنه لن يكون هناك «بوتين» ولا روسيا ولن يكون هناك عالم، بحسب معرفتي، لأننا خاطرنا بكل شيء. لذلك، كم الأهمية بمكان أن تصغوا لما يقوله السيد «بوتين» بشأن احتمال هجوم نووي إذا ما هوجمنا من قبل «النيتو». ومن ثم، أكد «دوغين» كلام الرئيس الروسي: من دون روسيا ليس ثمة بشرية، وإذا ما أردت أن تعيش على هذه الأرض يجب أن تقبل بروسيا عظيمة ذات سيادة[٦].

(٦) - قناة الجزيرة، أليكسندر دوغين: إما أن تنتصر روسيا أو يزول العالم بالسلاح النووي.

https://www.youtube.com/watch?v=8BvNbTgtRNy تم الدخول 2022/3/22.

من الملاحظ أن تنبؤات هؤلاء المفكرين الثلاثة تراوحت بين الهزيمة المنكرة لروسيا وبوتين كما يرى الليبرالي «فوكوياما» الذي يبدو أنه مازال متأثرا بأفكاره حول «نهاية التاريخ»، وبين النصر الساحق لروسيا، والذي سوف يغير وجه العالم ويرسي قواعد نظام عالمي جديد كما اعتقد الجيوسياسي «دوغين». أما الواقعي «ميرشايمر»؛ فهو يرى أن روسيا سوف تنتصر في هذه الحرب، واعتبر الخاسر الوحيد في هذه الحرب هم الأوكرانيون. أي، لم ير آثارا تحدث تحولات جذرية في بنية النظام الدولي.

لعل أكثر السيناريوهات استبعادا؛ هو السقوط المدوي لروسيا، وربما الغرب ذاته لا يرغب بهكذا سيناريو، إذ كما يقول الكاتب الأمريكي «توماس فريدمان»: «لا يوجد سوى شيئا واحدا أسوأ من روسيا القوية تحت حكم بوتين، وهو روسيا الضعيفة والمهينة والمخلة بالنظام والتي يمكن أن تنقسم أو تتعرض لاضطراب قيادة داخلي طويل الأمد، مع فصائل مختلفة تتصارع على السلطة، ووجود رؤوس حربية نووية. إن روسيا بوتين ليست أكبر من أن تفشل. ومع ذلك، فهي أكبر من أن تفشل بطريقة لن تهز بقية العالم»[1].

الأمر الآخر الذي أصبح مستبعدا؛ هو النصر الحقيقي ل«بوتين»، فقرار الحرب أو أي سلوك في السياسة الخارجية يعني إنفاق الموارد المحدودة على سياسة معينة، وهذا يفرض على الفاعل السياسي أن يحدد شيئين صحيحين حسب «نظرية السياسة الخارجية»، وهما:

1. أن الفوائد المتوقعة من إنجاز هذا الفعل لا بد أن تتخطى التكاليف المباشرة المتوقعة له.
2. أن تكون الفوائد المتوقعة لهذا العمل أكبر من تكاليف الفرصة البديلة[2]. أي، أن تكون الفوائد من العمل الذي تم اختياره أكبر من الفوائد التي يمكن الحصول عليها من جراء اختيار سلوك آخر متاح.

(1) - توماس فريدمان، ليس لدى بوتين مخرج جيد وهذا يخيفني حقا.

https://bit.ly/3IpA تم الدخول 2022/3/15.

(2) - جلين بالمر وكليفتون مورجان، نظرية السياسة الخارجية، ترجمة: د. عبد السلام علي نوير، النشر العلمي والمطابع-جامعة الملك سعود، 2011، ص 5 و6.

إذن، فالتكلفة المرتفعة التي تجسدت في الخسائر العسكرية منذ الأيام الأولى للحرب، والوتيرة المتصاعدة للعقوبات الاقتصادية والسياسية، والتي طالت جوانب لم تكن متوقعة كالرياضة والفن؛ جعلت فكرة النصر بمعنى الكلمة مستبعدة حتى وإن استطاع الروس احتلال أوكرانيا بالكامل. وحتى في حال اعتبرنا أن الدفاع عن الوجود كما يسميه الروس يبقى رابحا مهما كان الثمن، إلا أنه في هذه الحالة يبقى ثمنا مرهقا دونما عوائد مباشرة أو غير مباشرة؛ الأمر يشبه مصيبة حلت بأحدهم واضطر لإنفاق الكثير لتجاوزها.

«المستقبل مجهول دائما» عبارة تصلح لأن تكون قانونا ثابتا. وهذا لا يحتاج لإثبات، وهو يتنافى مع مقولة المخططات المحكمة والتي تمتد لسنوات وربما لعقود أو لقرون. لذلك، فسيناريوهات نهاية الحرب أكثر من أن تحصى، ورغم ذلك يمكن قول التالي:

- إذا استطاع الروس أن يلعبوها جيدا، فكلام «ألكسندر دوغين» ليس مستبعدا، وقد يستطيع الروس فرض أنفسهم كمنتصرين يفرضون معظم رغباتهم.
- قد تحصل روسيا على نصر بطعم الهزيمة. أي، قد تنتهي الحرب الأوكرانية بنصر مكلف ومرهق للروس يجعلهم يلتفتون إلى مداواة جراحهم بعد الحرب.
- رغم ضعف احتمالاتها؛ هزيمة الروس والإطاحة ببوتين تبقى واردة.
- منطقيا، العقلانية السياسية ستفرض نفسها في النهاية، وستكون هناك مفاوضات تفضي إلى إيقاف الحرب وتحفظ كرامة الجميع، وهو ما يبدو أن الروس أصبحوا أكثر تقبلا له، لكنهم ينتظرون أن يصلوا لمرحلة يمكنهم أن يفاوضوا فيها من موقع المتفوق. وهذا السيناريو هو الأكثر رجحانا.
- كل من السناريوهات السابقة يمكن أن يأخذ أشكالا متعددة.

وماذا عن القضية السورية؟

بالعودة إلى قضية التخطيط وردود الأفعال، فعبارة «المستقبل مجهول دائما» لا تعني أن التخطيط لا قيمة له، أو أن المخططات يستحيل أن تنجح. إذ لا بد من وجود خطة يسار على هديها، وتقييم الأداء على أساسها، وتعديلها أو تبديلها إذا لزم الأمر، أو تحقيق جزء منها. فالتخيط موجود وهو ضرورة، فحتى ردود الأفعال يجب أن تتم وفق مخططات محددة، لكن ما نود قوله: إن قصص المخططات العابرة للزمان والمكان والتي تسير بانتظام الآلة؛ هي محض خيال. ولعل ما يجب إضافته هنا أن بعض المخططات تحقق نتائج أكثر من النتائج المرجوة، وبعضها الآخر قد يحقق الفوائد حتى وإن لم ينجح ويكتمل، فعلى سبيل المثال: شخص يضع مخططا لأن يكون متقنا للغة الإنجليزية خلال عام، وبينما هو بنفذ مخططه وفي منتصف الطريق استجد أمر جعله يتوقف عن مخططه والاتجاه نحو عمل آخر، فالذي يحصل في هذه الحالة أن ما فعله هذا الشخص لم يذهب هباء، بل أصبح يتقن اللغة الإنجليزية نصف إتقان، وهو أفضل من لا شيء. ضمن هذا السياق يمكن القول: إن أي جهود ومخططات وترتيبات تقوم بها قوى الثورة والمعارضة استعدادا للاستحقاقات القادمة لن تذهب هباء. المهم في الأمر أن يقتنع الجميع أن تغيرا ما سوف يحصل نتيجة هذه الحرب.

كما أن سيناريوهات نهاية الحرب أكثر من أن تحصى، كذلك سيناريوهات تأثيرها على القضية السورية، فنتائج الحرب يمكن أن تفضي إلى التالي على سبيل التخمين:

قد تتجه روسيا، وقد أرهقتها تكاليف الحرب، للتسريع في الحل السياسي للتخلص من أعباء حماية النظام السوري.

قد تخرج روسيا من الحرب محققة كل طموحاتها. وبالتالي، التصرف من منطلق أنها أحد أقطاب النظام العالمي.

على اعتبار أن الغرب يسعى لموارد أخرى لتعويض النفط والغاز الروسي، ففرصة إيران لتوقيع اتفاق مع الغرب وتحسين موقعها أصبحت أكثر احتمالا، وهو ما يعني زيادة نفوذها في سوريا وزيادة في حظوظ النظام في البقاء.

رغم محاولات روسيا فصل الملف السوري عن الملف الأوكراني في هذه المرحلة، إلا أن الولايات المتحدة تسعى لجعل سوريا نافذة أخرى تضغط من خلالها على الروس، وهو ما قد يسرع في الحل السياسي أيضا.

لقد أصبح احتمال الثورة على النظام من قبل حاضنته احتمالا قوي الحضور، خاصة وأن جميع التوقعات تقول إن العالم مقبل على أزمة غذاء، ومعلوم لدى الجميع أن من هم على حافة المجاعة أكثر عرضة للتأثر بمثل هذه الأزمات.

قد تدفع أزمة اللاجئين الأوكرانيين إلى إيجاد حل سريع للأزمة السورية للتخفيف من أعباء اللجوء.

نتائج وتوصيات

رغم صعوبة التنبؤ فيما ستؤول إليه الأمور، إلا أن «الثابت» أن ما قبل حرب أوكرانيا ليس كما بعدها. لذلك، فالتخطيط والتحضير لتلك المرحلة سوف تكون له نتائج إيجابية مهما كانت النتائج كما سبق القول. لذلك، يمكن من خلال هذه الورقة تقديم التوصيات التالية:

أولا:إن التخوف من حصول أزمة غذاء حاصل على مستوى دول لها إمكاناتها، وتدابير الأمن الغذائي قائمة على قدم وساق في أغلب دول العالم. لذلك، فاتخاذ بعض التدابير الاحتياطية في المناطق المحررة من قبل أصحاب الشأن، إن أمكن، يعتبر أولوية قصوى.

ثانيا:آن للسوريين أن يتخلصوا من «فوبيا التقسيم» والعمل على توحيد المناطق المحررة بصيغة ما، ومن ثم إدارتها كدولة. وهذا الإجراء هو الأمثل لأغلب الاحتمالات.

- إن تمكنت إيران فهذا يعني ان النظام باق لأجل غير مسمى. أي، ليس من المعقول أن تبقى هذه المناطق تدار الأمور فيها بطريقة المحافظة على الحياة بالحد الأدنى.
- إن تمكنت روسيا، فمواجهتها كطرف واحد يستطيع أن يحشد الدعم بشكل أقوى هو وضع أكثر حظوظا بالنجاح.
- إن تم الدفع نحو الحل السياسي، فموازنة كفة النظام تصبح أقوى.
- إن بقي الحل مستعصيا، فبإمكان هذه المنطقة (المناطق) أن تكون في حِل من العقوبات التي فرضت على النظام السوري. وبالتالي، إمكانية للتنمية وتخفيف معاناة سكان هذه المناطق.

ثالثا: الاستعداد نفسيا وفكريا للانحياز للقطب المعادي للقطب الروسي، أو العكس إن استحال ذلك. بعبارة أخرى، مازال السوريون في حالة ضياع فكري؛ فهم بالأصل يحملون ثقافة معادية للغرب، وهم يحاربون، أو يتعرضون لحرب إبادة من قبل دولة تمثل الشرق بالمفاهيم السورية. أي، يجب وضع حد لهذه المعضلة وتحديد المواقف بكل وضوح.

NMA

for

Contemporary

Research

مركز نما للأبحاث المعاصرة

NMAforContemporaryResearch

www.nmaresearch.com

info@nmaresearch.com